

نوازل منطقة توات ودورها في خدمة المذهب المالكي « دراسة تطبيقية على نوازل الزجلوي »

بقلم:

د / إبراهيم بلبالي

جامعة أدرار



ملخص

ستتطرق هذه الدراسة إلى التعريف بنوازل منطقة توات وتحديد قيمتها العلمية من خلال وصف الحركة العلمية في هذه المنطقة في مراحلها المختلفة مع إبراز العهد الذي ظهرت فيه النوازل، مع اتباع ذلك ببحث خصائص النوازل التواتية عموماً ونوازل الزجلوي خصوصاً، ثم سنعرف بلزجلوي وبنوازل من خلال التركيز على إبراز القيمة العلمية لهذه النوازل. ثم سنخصص جانباً لبحث دور النوازل التواتية في المحافظة على المذهب المالكي مع التطبيق على نوازل الزجلوي.

الكلمات المفتاحية:

منطقة توات؛ النوازل؛ المذهب المالكي؛ الزجلوي.

Abstract:

This study will address the definition of the Nawazel of Touat Region and determine their scientific value by describing the scientific movement in this region in its various stages, highlighting the era in which The Nawazel appeared. This is followed by the study of the characteristics of the Nawazel in general and the

Nawazel of Zajalwi in particular. Then we will focus on highlighting the scientific value of this Nawazel. Then we will devote a part to discussing the role of the Touat Nawazel in preserving the Maliki school of thought with the application to the Zajalawi Nawazel.

Key words:

Touat Region; The Nawazel; Maliki school; Zajalawi.

مقدمة

لقد عرفت منطقة توات من الجنوب الجزائري حركة علمية وفقهية مشهودة، ابتداء من القرنين التاسع والعاشر الهجريين إلى يومنا هذا، من عهد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني والعائلة العصنونية التلمسانية الأصل والشيخ يحيى بن يدير التادلسي. وغيرهم، مروراً بعهد العائلة البكراوي بتمنطيط والقرى المجاورة لها، والعائلة البلبالية بملوكة والقرى المجاورة لها، إلى عهد الشيخ سيدي محمد بن الكبير وتلاميذه المنتشرين عبر القطر الجزائري، فكثرت المراكز العلمية والمدارس والزوايا ومجالس العلم والإفتاء والقضاء.

ومن الطبيعي أن تنتج هذه الحركة العلمية نتائج وتثمر ثمرات، منها تلك المصنفات الكثيرة والتي لا يزال الكثير منها مخطوطاً في خزائن متفرقة من القطر التواتي.

وإذا كان نصيب كبير من تلك المخطوطات هي نسخ لمصنفات وكتب صارت الآن مطبوعة ومتداولة، فصارت قليلة الأهمية من الناحية العلمية، فإن نصيباً كبيراً منها لا يزال حتى الآن ذا قيمة لا يستهان بها.

ومن أهم ذلك النصيب والذي يعتبر نتاجا علميا خالصا لعلماء المنطقة كتب النوازل والفتاوى والأقضية، والتي من أهمها

كتاب "نوازل الزجلوي"، وفيها جمع الشيخ محمد بن العالم الزجلوي فتاوى أبيه وشيخه وأضاف لها فتاوى لعلماء آخرين، وكتاب "أغنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من النوازل"، ويعرف أيضا في توات. اختصارا. بـ "الغنية البلبالية"، وهو كتاب اشترك في جمعه وترتيبه جمع من فقهاء العائلة البلبالية.

فما هي خصائص هذه النوازل؟ وما هي قيمة نوازل الزجلوي بين مجموع كتب النوازل التواتية؟ وأين يكمن دورها في المحافظة على المذهب المالكي؟

سأتناول في المبحث الأول من هذه الدراسة التعريف بنوازل منطقة توات وتحديدا قيمتها العلمية من خلال وصف الحركة العلمية في منطقة توات في مراحلها المختلفة مع إبراز العهد الذي ظهر فيه النموذج محل القسم التطبيقي لهذه الدراسة، مع اتباع ذلك ببحت خصائص النوازل التواتية عموما ونوازل الزجلوي خصوصا، ثم أعرج على النموذج محل الدراسة فأعرف بالزجلوي وبنوازله مركزا على إبراز القيمة العلمية لهذه النوازل. أما المبحث الثاني فأخصصه لبحت دور النوازل التواتية في المحافظة على المذهب المالكي مع التطبيق على نوازل الزجلوي.

والله أسأل منه التوفيق والسداد وأن يهديني إلى الصراط المستقيم آمين

المبحث الأول: التعريف بنوازل منطقة توات

المطلب الأول: التعريف بالنوازل وبمنطقة توات:

الفرع الأول: تعريف النوازل

أولا: النوازل لغة: جمع نازلة، مؤنث اسم الفاعل نازل من النزول وهو الهبوط

نوازل منطقة توات ودورها في خدمة المذهب المالكي - نوازل الزجلوي - د. إبراهيم بلبالي

والوقوع، قال ابن فارس⁽¹⁾: النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه... والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس أو بأحدهم⁽²⁾.

ثانياً اصطلاحاً⁽³⁾: تطلق النوازل في الفقه الإسلامي ويراد بها ذلك المعنى اللغوي الذي أشرنا له سابقاً، الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس: ومن ذلك قول الفقهاء "يشرع القنوت في النوازل". وليس هذا المراد في هذا الباب.

كما أطلقت وأريد بها الحوادث الجديدة التي تحدث في المجتمع بحيث لا يعرف حكمها من كتب الفقه والشريعة والتي يتصدى لها المفتون ليبينوا حكمها. وهي إما: حوادث جديدة تقع لأول مرة، مثل: النقود الورقية، أو حوادث قديمة تغير حكمها لتغير ما اعتمدت عليه من عرف، مثل: صور قبض المبيع المعاصرة. أو حوادث اشترك في تكوينها أكثر من صورة من الصور القديمة، مثل: عقد الاستصناع، بيع المرابحة للأمر بالشراء.

قال ابن القيم. رحمه الله. في إعلام الموقعين: "الفائدة الحادية عشرة: إذا نزلت بالحاكم أو المفتي النازلة فإما أن يكون عالماً بالحق فيها أو غالباً على ظنه بحيث إنه استفرغ وسعه في طلبه ومعرفته أو لا، فإن لم يكن عالماً بالحق فيها ولا غلب على ظنه لم يحل له أن يفتي ولا يقضي بها لا يعلم"⁽⁴⁾.

ثم أطلقت الكلمة "النوازل" وأريد بها تلك الأجوبة التي يجيب بها المفتون عن الوقائع والمسائل الحادثة أو المستحدثة. وهذا المعنى هو الذي نقصده في موضوع الدراسة.

الفرع الثاني: التعريف بمنطقة توات⁽⁵⁾

توات منطقة تقع حالياً بالجنوب الغربي للجزائر وهي تتشكل من ولاية أدرار وجزء من ولاية تمنراست.

اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات)، وتاريخ اختطاطها، بل وحتى في رسم حدودها، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة بن نافع الفهري⁽⁶⁾ بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عاد لوادنون ودرعة وسجلماسة⁽⁷⁾، وصلت خيله توات، ودخلها بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، فأجابوه بأنها تواتي، فأطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف⁽⁸⁾ وهو رأي انفرد به العالم محمد ابن عומר⁽⁹⁾، وقد أورد رواية أخرى لأصل تلك التسمية وهو الرواية الذي أسهب في تفسيرها وشرحها الشيخ سيد البكري حيث يقول: "في سنة 518 هـ حيث غلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب. بعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأنوات، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأنوات، لأن السلطان قبله منه في المغرب⁽¹⁰⁾ وقد علق البكري على هذه الرواية فقال: "وهذه الرواية أصحّ ولهذا اللفظ مسند في العربية. قال في المصباح⁽¹¹⁾: "التوت هو الفاكهة والجمع أنوات"، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأنوات، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه... فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف... وصار هذا الاسم على هذا القطر الصحراوي من تيلكوزة إلى عين صالح⁽¹²⁾"

وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين⁽¹³⁾ واعتُبر الرأي الأرجح في المسألة. والمؤكد في كل هذا أن منطقة توات ضاربة في أعماق التاريخ "ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام⁽¹⁴⁾، وكانت تسمى بالصحراء القبيلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير⁽¹⁵⁾ في غضون القرن الرابع الهجري⁽¹⁶⁾. ولا أدل على

ذلك من كثرة الحديث عنها في كتب المؤرخين والرحالة كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي وابن بطوطة وابن خلدون والعياشي والسعدي وغيرهم (17).

المطلب الثاني: وصف الحركة العلمية في منطقة توات

الفرع الأول: بداية الحركة العلمية في المنطقة

يعتبر القرن التاسع الهجري أو قبله بقليل بداية الحركة العلمية في منطقة توات، فرغم وجود بعض العلماء فيها قبل هذا العصر- إلا أن المصادر التاريخية لا تستشف منها وجود حركة علمية واضحة في الإقليم، يرجع ذلك بعض الباحثين إلى ما أصاب العالم الإسلامي عموماً سواء في المشرق أو المغرب من ركود وتراجع ملموس من الناحية العلمية (18).

أما في القرن التاسع الهجري فقد بدأ التفاعل العلمي في الظهور في هذه المنطقة، بسبب وفود ثلة من العلماء من جملة من الأقطار المغربية، فقد ذكر صاحب القول البسيط أخبار تنظييط أن من الأعلام الذين توافدوا على تنظييط في القرن التاسع الهجري (15م) العلامة أبو يحيى محمد المنياري (19) وهو جد بابا حيدة صاحب القول البسيط المذكور آنفاً.

ومن الأعلام الذين كان لهم الفضل في إثراء الحركة العلمية في الإقليم العلامة سيدي أبو زكرياء يحيى بن يدير بن عتيق التادلسي (20) قدم إلى توات سنة 854 هجرية من تلاميذه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (21) وعبد الله العصنوني وابن أخيه سالم (22) اللذان توليا خطة القضاء، وكان لهؤلاء العلماء الفضل في تحريك عجلة التنمية الفقهية والعلمية.

لكن منطقة توات أصابها ركود ثقافي في نهاية القرن العاشر والقرن الحادي

عشر- ويرجع سبب ذلك أن المنطقة شهدت اضطرابات جراء الغزو السعودي بحملة المنصور الذهبي⁽²³⁾.

الفرع الثاني: نوازل منطقة توات

أولاً: ظهور النوازل في منطقة توات:

يذهب كثير من الباحثين إلى أن أول ما حفظ مدونا من نوازل أعلام توات هي نازلة اليهود⁽²⁴⁾، و تتصور هذه النازلة في أن اليهود الذي سكنوا منطقة توات قوي نفوذهم حتى سيطروا فيها على الحياة الاقتصادية وأدتهم سيطرتهم تلك إلى إقامة كنائس لهم يتعبدون فيها، وخالفوا الكثير من التعاليم الإسلامية التي تفرض عليهم بحكم أنهم ذميين، فرأى الشيخ المغيلي أن ذلك يعد خروجاً منهم عن عقد الذمة، مما يستوجب ملاحقتهم بهدم كنائسهم حيث أن المعابد تعتبر أهم الرموز السيادية في المجتمعات الدينية⁽²⁵⁾.

وخالفه القاضي أبو بكر عبد الله العصنوني ورأى أنه لا يجوز التعرض لتلك المعابد لأن التعرض لها هو الذي يعتبر خروجاً عن عقد الذمة من جهة المتعرض لهم.

فكتبنا إلى علماء فاس وتلمسان يطلبان رأيهم في المسألة توخياً للإجماع، وجاءت الإجابة مختلفة، نظراً لأن الدلائل التي بنيت عليها أيضاً خلافية.

وقد سجل الونشريسي⁽²⁶⁾ هذه النازلة في كتابه المعيار، وسماها نازلة يهود توات، ثم اشتهرت بهذا الاسم.

لقد انبعثت الحياة الثقافية في منطقة توات من جديد إبان القرون الثلاثة المتوالية 12 و13 و14 بعد ذلك الركود الذي أشرت إليه سابقاً، حيث تجمع المصادر على أن هاته القرون قد حوت أقطاب الثقافة في منطقة توات؛ ومنهم

أعلام النوازل كالتنيلانيين⁽²⁷⁾ عمر بن عبد القادر (ت1152هـ) وعبد الرحمن بن عمر (ت1189هـ)، والزجلويين⁽²⁸⁾ محمد العالم بن أحمد (كان حيا سنة 1147هـ) وابنه محمد (ت1212هـ) والقضاة البكريين الثلاثة محمد البكري (ت1130هـ) وابنه عبد الكريم (ت1174هـ) وابنه عبد الحق (ت1210هـ)، والبلاليين محمد بن عبد الرحمن (ت1244هـ) وابنه عبد العزيز (ت1261هـ) والكتتوري (1160هـ) وابن اب المزمرى (ت1160هـ) وغيرهم⁽²⁹⁾.

ثانيا: التعريف بنوازل الزجلوي

نوازل الزجلوي هي مجموعة من الفتاوى أفتى بها الشيخ سيدي محمد - بفتح الميم الأولى - العالم بن احمد بن محمد بن أبي بكر الأنصاري نسبا الزجلوي منشئا ودارا، تلقى علومه الأولية على يد والده سيدي أحمد، ثم انتقل إلى أقطار أخرى أشبع فيها نهمه من طلب العلم، كدرعة وتافيلالت وتلمسان ومستغانم، ثم قفل راجعا إلى بلده.

جمع هذه الأجوبة ابنه أبو الحسن محمد . بالضم . بن العالم الزجلوي (ت1212هـ) ولد في قصر - زاجلو المرابطين وبها نشأ على يد أبيه سيدي احمد، ثم انتقل إلى قصر - تنلان⁽³⁰⁾ وتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التلاني. وبعدها رجع إلى مسقط رأسه وأسس مدرسته المشهورة التي تخرج منها شيوخ أجلاء، كان الشيخ أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيبي، وهو ما أهله لجمع نوازل والده وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التلاني، ونوازل سيدي عبد الرحمان بن باعومر⁽³¹⁾.

الفرع الثالث: خصائص نوازل منطقة توات

أول خاصية لنوازل منطقة توات هي التزامها بالمذهب المالكي، وسنعود لهذه الخاصية في المبحث التطبيقي الذي نبين فيه دور هذه النوازل في المحافظة على المذهب المالكي.

ثاني خصائص هذه النوازل " الواقعية " بمعنى أنها أجوبة وفتاوى عن مسائل واقعة وليست متوقعة فقط، فلا نجد فيها أجوبة لتلك المسائل الافتراضية التي لم تقع بعد، وهو ما يفسره استعمال جلهم لمصطلح النوازل، حيث إنه يفيد أن المسألة واقعة، بخلاف مصطلح الفتاوى الذي قد يفيد ما هو واقع وما هو متوقع من الحوادث.

ثالث الخصائص في تلك النوازل: خاصية التجدد وعدم التكرار، فالنوازل وإن كانت هي في الأصل كتباً فقهية إلا إنها ونظراً لطبيعتها وهي الإجابة على ما استجد من القضايا فلا تتكرر فيها الإجابة على نفس السؤال إلا نادراً.

رابع خصائصها: محليتها، إذ إنها تجيب عن واقعة معينة حدثت في وسط اجتماعي معين له مكوناته المادية والمعنوية، وذلك ما يكسب النازلة قيمتها التاريخية ويجعلها وثيقة مصدرية لكثير من المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والمعمارية وغيرها.

وتبين محلية النوازل التواتية من خلال هذين المثالين الآتيين من نوازل الزجلوي:

المثال الأول: رسمه في كثير من الأحيان لمظهر من مظاهر الحياة التواتية التي تشبه الحياة البدوية، ففي مسائل الطهارة المسألة الخامسة " وكان يرى الدجاج في البيت مما يعسر الاحتراز منه من ما لا يتوقى النجاسة إذا شرب من الماء المعد للوضوء أو الغسل " ففي هذه المسألة يرسم لنا بيتاً ربها خرجت دجاجاته من خمها

وشربت من الماء المعد للوضوء أو الغسل، وربما كانت تلك الدجاجات أكلت من نجاسة، غير أن صعوبة الاحتراز منها سبب في العفو عنها.

المثال الثاني: أنها خلقت من بعض القضايا في المعاملات التي لم تعرف في المنطقة، كالمساقاة⁽³²⁾ والمغارسة⁽³³⁾، وعلى العكس ومن ذلك وردت فيها بعض المسائل التي لم تعرف إلا في تلك المنطقة كمسألة الخماس، وهي أن يدفع الشخص بستانه لمن يعمل فيه بجزء من غلته، والمسألة ممنوعة حسب أصول المذهب، لكن فقهاء المنطقة أجازوها للضرورة وجريان العمل بها⁽³⁴⁾.

المبحث الثاني: دور نوازل توات في خدمة المذهب المالكي

لا شك أن كتب الفقه عموما والنوازل على وجه الخصوص لها دور مهم في خدمة الشريعة الإسلامية، عموما ومذهب النوازل خصوصا، ونوازل توات نموذج لذلك.

المطلب الأول: المحافظة على المذهب المالكي والتمكين له

إن استمرار المذهب وبقائه مرهون أولا بوجود من ينقله إلى الأجيال اللاحقة، باعتماده مذهباً للفتوى، ثم بنقل مصادره وأدلته، ولم تقصر النوازل التواتية في القيام بهذا الدور وهذا ما يتضح من خلال ما يأتي

أولا: نقل المذهب إلى الأجيال باعتماده مذهباً للفتوى

وأول دور لتلك النوازل في خدمة المذهب المالكي هو نقلها إياه والتزامها به، واعتماده مذهباً للفتوى، فلقد تقدم لنا أن من خصائص تلك النوازل التزامها المذهب المالكي مذهباً للفتوى، بحيث لم تخرج منه إلى غيره، يدل على ذلك مجموعها، فالتصفح لها يدرك بالبداهة ذلك.

وإذا كان من خصائص الشريعة الإسلامية ديمومتها وصلاحتها لكل زمان

ومكان، فإن الذي يجسد ذلك هو قدرتها على إيجاد الحلول لمختلف النوازل والمستجدات التي تحدث فيها، فإذا استعملت في ذلك مصادر مذهب معين وأصوله فذاك حسنة أخرى تحسب لهذا المذهب واعتراف بأحقيته وبقائه.

وقد علم أن عددا من المذاهب اندرس كمذهب الحسن البصري والثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وإسحاق بن راهويه وغيرهم، وذلك راجع لأسباب عديدة منها السياسية ومنها الاجتماعية، ومن تلك الأسباب عدم وجود أسباع لها، أو قتلهم، أو عدم اهتمام إمام المذهب وتلاميذه بالتأليف ونقل المذهب إلى من بعدهم.

وقد توفر للمذهب المالكي أسباب أدت إلى انفراده في منطقة توات، والذي يهمننا من تلك الأسباب أن أصحاب السلطة في المنطقة كانوا هم العلماء لا غير، وقد قال المؤرخون أن من أسباب انتشار المذاهب اعتناقها من قبل ذوي السلطة وقد كان القاضي . في توات . هو ممثل السلطان وهو المفتي المعلم للناس أمور دينهم.

وإذا كان من أسباب انتشار مذهب معين هو التأليف فيه بجمع فقه منشئه وأصوله، فإن كتب النوازل تؤدي لهذا الأمر لا محالة.

فقد اتضح من هذا الوجه دور النوازل في المحافظة على المذاهب عموما، ومنها نوازل منطقة توات على المذهب المالكي، وهذا الدور لا يحتاج إلى تدليل عليه لأنه معلوم بالعقل ولا يحتاج إلى نقل.

ثانيا: تعريفها برجال المذهب وأمهات المصادر فيه.

إن من بين الأدوار التي تؤديها كتب النوازل في المحافظة على المذهب دورها في التعريف بمؤلفاته وبمؤلفيها، ذلك أن كتب الفقه العام وخصوصا المتون منها

قلما تعرف بذلك، وعلى العكس من ذلك كتب النوازل فلا تكاد تمر نازلة إلا ويذكر فيها ما يمت للمذهب بصلة، كذكر مصدر من مصادر المذهب أو علم من أعلامه.

إن التعريف بالمؤلف والمؤلف لا يقصد بهما مجرد التعريف بهما، بل يهدف الأمر إلى أكثر من ذلك حيث يقصد به أمر منهجي تحرص الكتابات الأكاديمية المعاصرة عليه، وهو عزو الأقوال إلى أصحابها ابتغاء للأمانة العلمية.

إن التدليل لهذه القضية يطول لأن الأمر يقتضي النظر في جميع النوازل، ولكن سأستتج في هذا الصدد مما توصل إليه أستاذنا الدكتور محمد جرادي في فهارس رسالته للدكتوراه "نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق" شاهدا لتوضيح هذا الأمر.

فقد ورد ذكر الإمام مالك في النوازل 25 مرة، عبد الرحمن بن القاسم 25 مرة، وأشهب بن عبد العزيز 09 مرات، وأصبغ بن الفرج 07 مرات، وسحنون 05 مرات.

كما ذكر من أئمة المذهب ابن رشد الجدد 29 مرة، وخليل بن إسحاق 14 مرة، والخطاب 18 مرة، والخرشي 11 مرة، وابن الحاجب 05 مرات.

ومن المحليين ذكر عمر بن عبد القادر التنلاني 45 مرة، وعبد الرحمن بن عمر التنلاني 43 مرة، وعبد الكريم بن البكري القاضي 12 مرة، والكتتوري عبد الرحمن صاحب النوازل 10 مرات وغيرهم كثير.

إن الغرض من تقديم هذه النماذج ليس حصر الفقهاء الذي اعتمد عليهم الزجلوي في نوازله، لأنها مجرد نماذج عشوائية قصدت بها التدليل على هذه الخدمة الجليلة التي تقدمها كتب النوازل للتعريف برجال المذهب، وأقل فائدة تتحصل منها أنها تترك في نفس القارئ فضولا للتعرف على من وصلنا هذا الفقه الذي

نتعبد الله به على أيديهم.

المطلب الثاني: المحافظة على المذهب باستخدام أصوله وأدلته

النوازل هي كتب فقه بالدرجة الأولى، لقد عودنا فقهاء المالكية في العصور المتقدمة على عدم إيراد الأدلة والأصول المعتمد عليها في نقلهم للمسائل الفقهية، والملاحظ للمنهج الذي اعتمده فقهاء توات في نوازلهم يجده يعتمد أولاً على الاختيارات الفقهية والتي تعني اختيار أحد أقوال الفقهاء السابقين، وفي سبيل ترجيح أحدها يستخدمون جملة من الأدلة كالقياس والاستحسان وما جرى به العمل ونحوها.

لكن النوازل التواتية قد غلب عليها استعمال أصليين من الأصول المختلف فيها، وهما تخريج الفروع على الفروع، واعتبار ما جرى به العمل

الفرع الأول: التخريج على الفروع

يعرف هذا الأصل بأنه نقل حكم مسألة إلى ما يشبهها، والتسوية بينها فيه وقال القرافي: تخريج غير المنصوص على المنصوص؛ بشرط تعدد الفارق.

وإذا كان القياس الأصولي يشترط له أن يكون حكم الأصل ثابتاً بنص أو اتفاق بين الخصمين، فإن ثمة قياس آخر كان إجراؤه مثار جدل وهو الاستدلال على الفروع عن طريق تخريجها على فروع مجتهد فيها، وهو قياس تساهل المالكية فيه، وخصوصاً فقهاء النوازل كالونشريسي والبرزلي وغيرهما، وقد تأثرت النوازل التواتية بهذا المنهج.

من ذلك ما ورد في نوازل الزجلوي من أن الميت إذا كفنه جماعة المسلمين فجاء سبع فأكله، لمن يرجع كفنه قال يورث عنه إن لم يكن له دين، قياساً على المكاتب يعان في كتابه ثم يعجز عن إتمام ذلك⁽³⁵⁾.

الفرع الثاني: الاستدلال بما جرى به العمل

إن " ما جرى به العمل " بصفته دليلاً شرعياً يعني (الأخذ بقول مخالف لمشهور المذهب لموجب يقتضي هذا العدول كذريعة أو مصلحة أو عرف أو غيره).

ورغم حرص فقهاء توات على الإفتاء بالمشهور من المذهب، وهذا ما يفسره التزامهم بمختصر- خليل إلا أنهم عدلوا في بعض المسائل عن المشهور أخذاً بما جرى به العمل. وهذه المسألة من نوازل الزجلوي تبين هذا الأمر كان الزجلوي يقول بجواز إعطاء الزكاة لآل البيت وإن لم يبلغوا حد الاضطرار لما جرى به العمل من الاعتماد على ما للأبهري من جواز ذلك وإن كان خليل مشى في مختصره على المنع مطلقاً وهو المشهور في المذهب⁽³⁶⁾.

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث نخلص إلى أن منطقة توات قد عرفت نشاطاً علمياً فقهياً بصفة عامة ونوازلياً بصفة خاصة، وكان لتلك النوازل خصائصها ومميزاتها كواقعيتها ومحليتها ومحافظتها على المذهب المالكي من خلال الاقتصار عليه في الفتوى، بل الاقتصار على الفتوى بمشهور المذهب إلا إذا عضد القول غير المشهور بعمل أو عرف أو عادة أو مصلحة.

لكن الذي نأسف إليه أن هذا التراث الفقهي الكبير لا يزال جله في أدراج المكتبات الخاصة، لم تتناوله أيدي الباحثين بالدراسة والتحقيق، وذلك راجع لعدة أسباب كثيراً ما تقصر أيدي الباحثين عن حلها.

الحواشي والإحالات:

(¹) ابن فارس: [329، 395هـ = 941، 1004] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، وقيل بن زكرياء ابن فارس، القزويني الأصل، الرازي، من أئمة اللغة والأدب والبيان، قرأ عليه البديع الهمداني، والصاحب بن عباد، وغيرهما، من تصانيفه: مقاييس اللغة، يعرف بمعجم مقاييس اللغة، والمجمل،

- والصاحبي في علم العربية وآدابها وغيرها. [بغية الوعاة للسيوطي، 1/352؛ وفيات الأعيان لابن خلكان، 1/118].
- (²) ابن فارس أحمد بن فارس أبو الحسين؛ معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ج 6 ص 417.
- (³) - ينظر: محمد دباغ، دراسات في التراث، دار الغرب للنشر- والتوزيع، وهران دون رقم وتاريخ الطبع ص 74-75، ومحمد جرادي نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2010/2011 غير منشور ص 16.
- (4) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة مصر، 1388هـ/1968م ص 173.
- (5) ينظر الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات الحبر بني مسوس الجزائر ط 2، 2011، ص 27-32 . ومحمد جرادي نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، مرجع سابق ص: 31-36.
- (6) هو عقبه بن نافع الفهري ولد في السنة الأولى قبل الهجرة، ولاه يزيد بن معاوية على إفريقيا سنة 62هـ وتوفي بمدينة بسكرة بالجزائر. (معجم مشاهير المغاربة . بو عمران الشيخ وآخرون . جامعة الجزائر 1995م ، ص 365-366).
- (7) وادنون ودرعة وسجلاسة مدن تقع في المغرب الأقصى- وتعتبر سجلاسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بمنطقة توات. تأسست سنة 140 هـ 757 م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية . ص 62.
- (8) نقل الرواة عن من أبدع قصور توات : محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري . ص 04. مخطوط موجود بخزانة بعبد الله ، وخزانة بودة أدرار .
- (9) محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، ص 4. (مخطوط).
- (10) محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام مصدر سابق. ص 06
- (11) المصباح المنير . أحمد بن محمد الفيومي . ج 1 المطبعة الأميرية القاهرة 1921م ص 108.
- (12) درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص 06.
- (13) مثل المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواة ومولاي أحمد الإدريسي- في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات (المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار) والشيخ محمد باي بلعالم في محاضراته حول المنطقة.
- (14) ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ 106 هـ ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال بني

قبل الهجرة ببائة وخمسة 517 م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة البشرية والحضارية . كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد (BERNARD) في بحثه عن تاريخ المنطقة أن عمارة المنطقة بدأت قبل 50 (.) .

(15) هو واد كبير ابتداءه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يمينا في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة . الرحلة . 18 . 2 . تحقيق محمد حاجي . مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر . الرباط 1397هـ . 1977 .

(16) بلعالم . من محاضرة له للتعريف بمنطقة توات . مكتبة (ج.أ.د.ت أدرا). .

(17) ينظر محمد جرادي نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق مرجع سابق 31-36 .

(18) حاج احمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات منشورات الحبر الجزائر ط2 2011 .66

(19) أبو يحيى محمد المنياري نسبة لقبيلته نزل بتمنيط عاصمة الإقليم التواتي آنذاك، وتقضى بها على توات كلها، وكان على قدر كبير من العلم والصلاح لا تروي المصنفات تاريخ ميلاده أ () : محمد بابا حيدة البسيط في أخبار تمنيط تحقيق الدكتور فرج محمود فرج، موجود ضمن كتابه الذي نال (30) .

(20) يحيى بن يدير بن عتيق التادلسي. أبو زكريا، قدم على توات سنة خمس وأربعين من القرن التاسع فقيها علامة من تلاميذه محمد بن عبد الكريم المغيلي وعبد الله العصنوني وابن أخيه سالم العصنوني، توفي بتوات يوم الجمعة عاشر صفر عام 877هـ (ينظر في ترجمته: أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ص509، محمد بن بابا حيدة القول البسيط في أجب .(19-18) .

(21) محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مولده ونشأته في مدينة تلمسان سنة 790هـ علماء تلمسان ثم انتقل بعدها إلى بجاية فنهل من علوم شيوخها ثم إلى الجزائر حيث اتصل بعبد الرحمن الثعالبي المفسر المشهور وأخذ عنه التفسير والعلم ثم انتقل الشيخ إلى توات بأمر من شيخه الثعالبي فنزل أولا بأولاد سعيد ثم انتقل إلى عاصمة الإقليم آنذاك تمنيط ، ترك الشيخ عدة مؤلفات جالها في السياسة الشرعية (ينظر في ترجمته: أحمد بابا التنبكتي 455، ومن المعاصرين: مبروك مقدم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأتره .(

(22) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني أو العصموني، التلمساني لا تذكر المصادر تاريخ ميلاده وقد حل بتوات سنة اثنين وستين وثمانمائة تولى القضاء بها، وقد تولاه من بعده ابن أخيه سالم في حياته (ينظر في ترجمته: درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام لمحمد بن عبد الكريم التمنيطي مخطوط ورقة رقم 18-19، والقول البسيط في أخبار تمنيط لمحمد بابا حيدة مصدر سابق، ص 20).

(23) محمد جرادي، نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، مرجع سا

(24) محمد جرادي المرجع نفسه.

(25) ينظر: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق جماعة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون رقم 261-214/2.

(26) الونشريسي: أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني، فقيه مالكي أخذ عن علماء بلده، فر إلى فاس 870 هـ بعد أن تقمت عليه حكومة تلمسان، ومات بها، من كتبه إيضاح المسالك والعيار المغرب وغيرهما (ينظر في ترجمته: شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف 1/274 /1).

(27) التينيلانيين هما: 1 1098 رحل طالبا للعلم إلى فاس وتلمذ على المسناوي وابن أمبارك السجلماسي وابن زكري الفاسي وغيرهم، كما تلمذ على يديه شيوخ من توات كعبد الرحمن الجنتوري وأبي زيد التينلاني توفي رحمه الله سنة 1152). 2 . رحمن بن عمر أخذ العلم الجنتوري وابن أب المزمرى وسيد عمر الرقادي وغيرهم، تخرج على يديه علماء أجلاء منهم ابنه محمد والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري ومحمد بن عبد الرحمان البلبالي، توفي رحمه الله بمصر. في رجوعه من الحج ودفن بمقبرة المنوفي سنة 1189 هـ (في ترجمتهما: التاريخ الثقافي لإقليم توات للصادق حاج أحمد ص 116-120).

(28) الزجلويين هما: 1- . أحمد العالم (كان حيا سنة 1147 هـ وابنه محمد، وقد عرفت بهما في صلب

(29) محمد جرادي؛ نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق مرجع سابق، ص 21.

(30) قصر من قصور توات أسسها سيدي أحمد بن يوسف سنة 1078

(31) أحمد جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر- الهجريين ج 1 1 /2009 /58.

(32) تعرف المساقاة على أنها: دفع الرجل لآخر شجره للقيام عليها بالسقي والرعاية بجزء من ثمرها،

(³³) تعرف المغارسة بأنها: أن يدفع الرجل لآخر أرضه ليغرسها ويقوم عليها بجزء منها، وهي مستث

(³⁴) الخماسة أن يدفع الرجل لآخر

(³⁵) محمد جرادي نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق ص 84.

(³⁶) ينظر: محمد جرادي، نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق م .187-186

